**الحياة الفكرية في الوطن العربي خلال السيطرة العثمانية ( مصر أنموذجاً )**

**م.م علي جواد كاظم المالكي**

**العراق- جامعة ذي قار- رئاسة الجامعة**

**alialmaliky08@gmail.com**

**المستخلص:**

تعد مصر واحدة من الدول العربية ذات الحضارات العريقة، وذات التاريخ الطويل الذي يمتد الى الاف السنين قبل الميلاد، وقد دل ذلك التاريخ على ان في مصر زراعة وصناعة وعلماء ومفكرون ورجال دولة ورجال ادب، وان التراث الفكري للثقافة المصرية القديمة يُقدم لنا الاساس الملائم لتطور الفكر والثقافة الجديدة في مصر.

وقد حققت مصر تقدماً بالغاً في هذا الشأن، وسبقت غيرها من الاقاليم والبيئات العربية التي اخذت تتأثر بها شيئاً فشيئاً، لاسيما وان مشروع محمد علي باشا في هذا المجال قد امتدَ الى مختلف الميادين العسكرية والمدنية، ليكسبها بالمزيد من الكفاءات والتخصصات، ويتفق اغلب المؤرخين على ان الفضل في ذلك كله يعود الى محمد علي باشا، الذي يعد اول حاكم شرقي يُفكر في ذلك وينفذهُ بجدية وفعالية ونشاط، وعلى مستوى رصين وباللغة العربية التي لم يكن يجديها ،ولكنهُ عزّز آدابها وعلومها من خلال مشرعهِ الثقافي والتعريبي الكبير، فضلاً عن الدور الكبير الذي قدمهُ رفاعة الطهطاوي رائد التجديد في الفكر العربي المصري في القرن التاسع عشر ، من خلال تقديمهِ أفكاراً جدية التمس لها أصولاً في الثقافة الاسلامية ، متخذاً من الفكر الغربي فروعاً وأغصاناً ، وكذلك الدور الفكري السياسي للشيخ محمد عبده، إذ حملت أفكاره حساً وطنياً عالياً عن طريق اشتراكه بالحركة الوطنية المصرية التي نتجت عنها ثورة احمد عرابي، فقد اكد على المبادئ الوطنية وحب الوطن ومقاومة البريطانيين ، لذلك استطاع ان يؤثر في قطاع واسع من المثقفين والكتاب والمفكرين المصريين.

**الكلمات المفتاحية** : مصر، الحياة الفكرية، الدولة العثمانية، العلماء، المفكرين .

**Intellectual life in the Arab world during the Ottoman domination (Egypt as a model)**

**M. Ali Jawad Kazem Al-Maliki**

**Iraq – University of Dhi Qar - University Presidency**

**Abstract:**

 Egypt is one of the Arab countries with ancient civilizations، and with a long history that extends to thousands of years BC. This was indicated by the history in Egypt of agriculture، industry، scholars، thinkers، statesmen and literature، and that the intellectual heritage of ancient Egyptian culture provides us with the appropriate basis for the development of thought and culture new in Egypt.

 Egypt may be a great progress in this regard، and has preceded other Arab regions and environments that have been affected by it so that they are Shishi، especially since the Muhammad Ali Pasha project in this field has spread to various military and civil fields، to gain it with more competencies and specialties، and most historians agree However، credit for all this belongs to Muhammad Ali Pasha، who is the first eastern ruler to think about this and implement it seriously، effectively and energetically، at a solid level and in the Arabic language that he did not find useful، but he strengthened its literatures and sciences through his great cultural and Arab project.

In addition to the great role that Rifaat Al-Tahtawi pioneered the renewal of Egyptian Arab thought in the nineteenth century، by presenting new ideas that sought assets in Islamic culture، taking branches and branches from Western thought، as well as the political intellectual role of Sheikh Mohamed Abdo، as his ideas carried a sense Nationally، through his participation in the Egyptian national movement، which resulted in the revolution of Ahmed Orabi، he emphasized national principles، patriotism، and the resistance of the British. Therefore، he was able to influence a wide range of Egyptian intellectuals، writers and thinkers.

**Key words**: Egypt - Intellectual life - the Ottoman Empire - Scholars – Thinkers .

**المقدمة :**

 تناول البحث جانب حيوي ومهم من حياة مصر الفكرية بداً من وقوعها تحت السيطرة العثمانية وحتى بدايات القران العشرين عندما بدأت بوادر الحركة الوطنية في مصر والوطن العربي تلوحُ في الافق عن طريق الاضرابات وتأليف الجمعيات السرية ، وقد انتهى الامر بالطبقة المثقفة المصرية ان أصبحت تُشكل العمود الفقري في الحركة الوطنية.

 يتكون البحث من مقدمة وثلاثة مباحث ، وكان المبحث الاول قد درس **بواعث التجديد الفكري في مصر خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر**، وتناول المبحث الثاني **الحركة الفكرية وإثرها في مصر خلال القرن الثامن عشر**، وتعرضَ المبحث الثالث الى **الحركة الفكرية المصرية خلال القرن التاسع عشر،** وختمت الدراسة بإستنتاجات أفرزتها قراءتنا للموضوع .

**المبحث الاول**

**بواعث التجديد الفكري في مصر خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر**

في كانون الثاني من عام 1517 حضر السلطان العثماني سليم الاول (1512 – 1520) مع جيش كبير لفتح مصر بعد نجاحه في معركة مرج دابق ، وواجه جيشه مقاومة كبيرة من سكان القاهرة والمماليك انتهت بهزيمة طومان باي وإعدامه على **"** [**باب زويلة**](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A8%D8%A7%D8%A8_%D8%B2%D9%88%D9%8A%D9%84%D8%A9_%28%D8%AA%D9%88%D8%B6%D9%8A%D8%AD%29)**"** وإنهاء حكم المماليك وبداية السيطرة العثمانية على مصر([[1]](#endnote-1)) .

ومما لاشكّ فيه أن فتح مصر من الدولة العثمانية قد نتج عنه إمران كان لهما تأثيراً كبيراً في تاريخ مصر، **الامر الاول :** هو إنتقال مركز الثقل في العالم الاسلامي ومركز الخلافة ، إما الامر الثاني : فهو فقدان مصر استقلالها كونها دولة قائمة بذاتها وهبوطها من دولة مستقلة كاملة السيادة الة ولاية عثمانية ، ينظر اليها على ان كل ما فيها من موارد بشرية ومادية هي ملك للسلطان العثماني ، وان كل الاراضي المصرية هي أيضاً ملك للدولة العثمانية ، شأنها في ذلك شأن كل البلاد التي سيطرت عليها الدولة العثمانية([[2]](#endnote-2)).

ألا إن من حسنات الحكم العثماني للبلاد العربية هو عدم التدخل في امور الناس بالتنظيم والتعديل والتبديل ، فقد ترك العثمانيون الناس يحيون حياتهم التي اعتادوها من قبل تحت جناح مجتمع القرية في الريف ، ومجتمع القبيلة والعشيرة في البادية ،ومجتمع الطوائف في المدن ، وكل منها كان يعتمد في تنظيم علاقة الفرد بالجماعة بتقاليد راسخة لم يصبها من التعديل الا القليل بما يتفق مع درجة التطور وتغيير الاحوال ، كما كانت الخدمات الاساسية كالصحة والتعليم والخدمات الاجتماعية الاخرى من مسؤولية الرعية وليست من مسؤوليات الحاكم ، تقوم بها الاوقاف التي رصدها اهل الخير على المساجد والمدارس والمشافي والتكايا وغيرها ، وقد يساهم الحكام كأفراد في تلك الاعمال فيقيمون المساجد والمدارس وغيرها ، ويوقفون عليها العقارات التي تجري بها ارزاقها لتغطي نفقة ما شيدوه من تلك المؤسسات ، وقد لا يساهمون فالأمر يتوقف على نوازع الخير عند الحاكم كفرد ، ولم يكن ذلك من اختصاص الدولة ، وجاء ابقاء العثمانيون على ذلك الوضع إيجابياً للحفاظ على هوية الاقاليم وعادات اهله([[3]](#endnote-3)).

 ولايعني ان العثمانيون قد وعوا ذلك او قصدوه بل كان ما يهمهم هو بقاء الولايات العربية في حظيرة الدولة ، فالسيادة للسلطان ، وله شارات بالاعتراف بها: (سداد الخراج، وسك العملة بأسمه، والدعاء له يوم الجمعة، وعدم الخروج على سلطته) وفي مقابل ذلك يقع على عاتقه حماية البلاد والدفاع عنها ضد العدوان الخارجي ، وحفظ الامن في الولاية واقامة العدل ين الناس ، وبعبارة اخرى كانت السلطة جهاز جباية للأموال وجهاز امن وسلطة قضائية تتولى اقامة العدل بين الناس([[4]](#endnote-4)).

وتاريخ مصر خلال تلك الفترة تاريخاً راكداً ، أذ بدأت مصر تعاني منذُ نهايات القرن السادس عشر من انخفاض العملات المحلية ، كما وانخفضت القوة الشرائية للقوى الادارية والعسكرية نتيجة ضعف مرتباتهم ، وعانى الجهاز الاداري من التخبط والانحدار، وقد فسدت اجهزة الدولة : العسكرية والادارية ، إذ بدأ الموظفون الاداريون يعوضون سوء احوالهم المعاشية بممارسة الرشوة ، وبدأ العسكريون يستخدمون القوة والسلاح في فرض الضرائب والقمع لأحداث التوازن المطلوب([[5]](#endnote-5)).

 وكانت ظاهرة الصراع الداخلي قد صبغت تاريخ مصر خلال تلك العهود ، وقد وصلت الى درجة كبيرة من التفاعل خلال القرن السابع عشر في التفكك السياسي والاداري ، اما الحياة الاجتماعية المصرية – العثمانية ، فقد كان لها خصوصيتها التي طغى عليها المدّ الديني – الصوفي ، وقد شجعت الدولة العثمانية ظاهرة التصوف ، فخصصت الحياة الدينية لتأثير المشايخ والطرقية اكثر مما خضعت لتأثير السلطة الرسمية للدولة ، وقد غلبت على التفكير الجماعي المصري وعلى النزوع النفسي أشكال الشعوذة والسحر والخرافة التي لبست لباساً دينياً ، وسيطرت على شؤون الحياة الاجتماعية متخذةً لها صورة لسلطة قهرية أبطالها من المشعوذين الذين أدعوا العلوم كالطب مثلاً ، ومارسوا من خلالها الابتزاز([[6]](#endnote-6)).

اما التعليم خلال تلك الفترة فقد كان يقع على كاهل الكتاتيب الدينية على اختلاف مستوياتها ويركز على اللغة والنحو والعروض وعلوم القرآن والحديث والفقه وغيرها من العلوم الدينية، وكان الامراء المماليك قد إستبدوا بالحكومة العثمانية كثيراُ ، فأنشغل الناس عن العلم والتعليم ، وكان العنصر العربي قد ضعف شأنه في سائر المملكة الاسلامية ألا في مصر ؛ ذلك لأن جامع الازهر فيها ، أذ كان الازهر اكبر وسيلة لاستبقاء اللغة العربية حية ، ذلك من خلال تعليم العلوم الدينية واللسانية ، لكنها اقتصرت يومئذ على هذه العلوم واهملت سواها من الطبيعيات والرياضيات. واستمرّ الازهر من اهم مصادر التعليم في مصر الى النهضة الحديثة ، ذلك بعد انشاء المدارس على النسق الجديد في ايام محمد علي باشا **( التي سوف يأتي الحديث عنها لاحقاً)** ، لتعليم العلوم الحديثة ، كالطبيعيات والطب والهندسة وغيرها ، اما قبل هذه النهضة فكانت هذه العلوم ولاسيما الطب تُدرس في المارستانات ، واهما في شارع النحاسين([[7]](#endnote-7)).

**المبحث الثاني**

**الحركة الفكرية وإثرها في مصر خلال القرن الثامن عشر**

**اولاً : تطور الحركة الفكرية في مصر :-**

 كان العلماء في مصر خلال القرن الثامن عشر بمثابة الملجأ الاخير للرعية ؛ لأنهم حلقة الوصل بين الناس والسلطة الحاكمة ، وكانت المدة التي حكم فيها محمد أبو الذهب (1773-1775) ، تُعدّ ذروة نفوذ العلماء فكانَ يحترمهم ويساندهم مادياً ، ويستمتع بصحبتهم ويقبل وساطتهم ، وكانوا يتمتعون بحصانة من المعاملة الفضة ، لكنها كانت متفاوتة بحسب شخصية الباشا أو البك التابع للسلطة ، وكان علماء ذلك القرن العامة أو الأزهريين، علمهم مقصوراً على علوم الدين فهي الأساس، وكان بضعة علماء يهتمون قليلاً بالجبر والحساب والجغرافيا والفلك والمنطق والعلوم العقلية الدنيوية كالطب والفلك والرياضيات ، فمعظم إهل الازهر لايشغلون إنفسهم بالعلوم الرياضية بإستثناء الحساب والمقاييس اللازمة لتوزيع المواريث ؛ لأن دراسة العلوم الدقيقة تتطلب آلات ومهارات فنية وأجهزة باهضة الثمن كالطب وغيرها من العلوم ، فضلاً عن ذلك ان معظم الازهريين من الفقراء فهم من بسطاء الناس من القرى والارياف ، وهذا ما جعل شيخ الازهر عبد الله الشرقاوي من الاتصال بالشيخ حسن الجبرتي الذي تفوق بالعلوم الدقيقة لتطوير علماء الازهر في هذه الجانب([[8]](#endnote-8)).

 ولهذه الاسباب فأن معظم العلماء المهتمين بالعلوم الدقيقة على الرغم من فقرهم الا أنهم كانوا يدرسون تلك العلوم في بيوتهم بصفة أساسية الى جانب المساجد ، ولما كانت تلك العلوم لا تُدرس في الازهر وإنما في بيوت المتخصصين ، فأن مدرسيها يتقاضون أجراً خاصاً نظير ذلك ، فالشيخ حسين المحلي المتوفي عام(1757) كان يأخذ الاجر من الطلاب نظير تعليمهم الرياضيات، وكانت مقولتهِ الشهيرة **" أنا لا إبذل العلمَ رخيصاً "** أي بمعنى أنه يتقاضى الاجر على عدةّ مستويات في تقديم العلم ومطالعة الكتب([[9]](#endnote-9)).

 وكان الطب قد أخذ جانباً كبيراً في مصر وأشرف على تدريسهِ الشيخ احمد الدمنهوري الذي تعلم على يد الشيخ احمد القرافي الحكيم في المارستان ، والسيد قاسم محمد التونسي المتوفي عام (1779) ، مدرساً في المارستان ايضاً ، وقد ألف الدمنهوري كتاباً بالطب ، وكذلك الشيخ حسن العطار ، ولايستبعد ان يكونا قد قاما بتدريس الجانب النظري من الطب في بيوتهما([[10]](#endnote-10)).

 وقد وجد في مصر في القرن الثامن عشر عدد كبير من العلماء ممن اشتغل بالعلوم العقلية المختلفة الى جانب الشيخ حسن الجبرتي الذي كان الوحيد من الذين اشتغلوا بهذه العلوم ؛ ويعود ذلك لأعتناء ابنه الشيخ عبد الرحمن الجبرتي بالترجمة له في هذه المجال ، أما من جانب المدارس فقد كانت هنالك مدرسة في علم الفلك يهتمُ بها العالم الفلكي الكبير رضوان افندي المتوفي عام 1710 ، الذي لم يكن ازهرياً ، وانما كان احد امراء المماليك ، واخذ على يديه اغلب المشتغلين بالفلك في مصر خلال ذلك القرن ، ومن تلامذتهِ ( يوسف الكلارجي ) المتوفي عام 1740 ، وهو مملوك ايضاً ، و( رمضان السفطي الخوانكي) المتوفي عام 1745 ، ومن النواحي التي اهتم بها الفلكيون في مصر خلال ذلك العصر : التوقيت ؛ ذلك لأهميته ُفي معرفة اوقات الصلاة ، وكيفية استقبال القبلة وتحديد اوقات الصيام ، ورؤية الهلال ووضع التقاويم للجمهور للاستفادة منها في حياتهم العملية لمعرفة الشهور الشمسية ، واوائل الشهور العربية والميلادية والمواسم والاعياد والخسوف والكسوف، والى جانب هؤلاء كان هنالك من المختصين في العلوم التطبيقية من أمثال ( حسن الساعاتي ) ومهندسين أخرين كـــ (عبد الرزاق يوسف )، والمهندس الذي بوقف احمد بن طولون وغيرهم([[11]](#endnote-11)).

 وهكذا نجد ان العلوم العقلية كالرياضيات والطب والفلك لم ينعدم تدريسها في مصر ، وانما برز علماء حصلوا على شهرةً كبيرة في مصر وسائر العالم الاسلامي ، لكن هنالك بعض العلماء خلال القرن الثامن عشر قد انصرفوا عهنا ؛ لأن علوم الفلسفة والكيمياء اعتبرها البعض علوماً مذمومة ، لهذا لم تُدرس في الازهر او المساجد الاخرى ، بالرغم من وجود بعض المصريين قد اشتغلوا فيها مثال ( الشيخ احمد السجاعي ) ، والشيخ (حسن العطار) ، اللذان ألفا كتباً في علم الفلسفة ، والشيخ ( احمد الدمنهوري) الذي الف كتاباً في الكيمياء([[12]](#endnote-12)).

 وتعد تلك المدة في مصر وعلى الرغم من بروز الحركة الفكرية التي أحتوت على المثقفين وبعض الرعايا الرسمية للعلم والعلماء ، والاهتمام بخزائن الكتب في المساجد والاوقاف ، الا انها اهملت ولم تلاقي رعاية من الدولة العثمانية لعدم الدعم المالي والمعنوي فأطفأت العلوم العقلية وأهمل كل تطوير أو ابتكار ، كما اهملت العلوم الشرعية والدراسات اللغوية أيضاً ، حتى وان أمن اكثر العلماء بتدريس تلك العلوم من الدولة لكنهم كانوا مقيدين اكثر من مبدعين ولايعنيهم سوى اللفظ دون المعنى والتجديد الى افكار جديدة([[13]](#endnote-13)).

 اما من ناحية الادب على الرغم من ابداعه في اواسط القرن الثامن عشر ، لكن في السنوات الاخيرة منه كان في حالة ركود ، فالنماذج النثرية والشعرية هزلية لاغير ، ولم تكن من الادب المصري في عصور إزدهارها ، فكان ابرز النتاج الادبي لتلك المدة يهتم بالمدائح النبوية والرثاء والمواعظ المباشرة وتسجيل الاحداث في لغة سقيمة ، فبعضه كان فصحى وحيناً آخر شعبي ، ممثلاً في الموال والاغنية والسيرة الشعبية كسيرة السيد البدوي([[14]](#endnote-14)).

 ولقد كان للبناء الاجتماعي آنذاك دوراً في انتشار الثقافة والعلوم بشكل واسع ، وهذا الامر يحتاج الى ثورة اجتماعية واقتصادية تقوم على مجموعة من العمليات الكمية والكيفية التي تتراكم على مدى زمني غير محدد ، ويسهم فيها الصناع والمثقفون وقوى الشعب في كافة الاقاليم ، فلم تكن الحركة الفكرية والعلمية في القرن الثامن عشر حكراً على علماء القاهرة بل شارك فيها علماء الاقاليم ، بل ان كثيراً من العلماء كانوا يسافرون للأقاليم المجاورة للاجتماع بعلماؤها والاخذ منهم بعض العلوم والافكار ، فكان الشيخ عبدالله الادكاوي المتوفي عام 1770 ، شاعراً وادبياً مشهوراً يسافر الى رشيد وفوه والاسكندرية مراراً ليجتمع بعلماء كل منها ويطارحهم الشعر ، لهذا لم تكن الدولة تعينهم مالياً وكانت اكثر لقائهم عن طريق الحج الى مكة ، وقلة حفلت بدراسة العلم الغربي من امثال ( احمد الدمنهوري ) و( حسن الجبرتي) ، وفي الوقت ذاته كان بعض العلماء من خارج مصر تقوم بزيارتها للاستفادة من علماؤها وشيوخها واخذ علم الحديث عنها ، ومن هذه المناطق هي : دمياط ورشيد والمحلة وسمنود والمنصورة وابو صير ودمنهور واسيوط وجرجا وفرشوط وغيرها من المناطق المصرية، فضلاً عن الحصول على المناقشات العلمية التي تزخر بها مصر بين علماؤها والاقاليم المجاورة خلال ذلك القرن ، لهذا كانت الحركة الفكرية في مصر تجدد نفسها بعلماؤها بتناقل افكارهم وعلومهم داخلياً وخارجياً([[15]](#endnote-15)).

وكانت ابرز الطرق التي انتشرت بها المعرفة والفكر خلال ذلك القرن قد تعددت بين المكتبات والكتاتيب والدروس العلمية الخاصة في المنازل ، بالإضافة الى دور الازهر التثقيفي ليس لأبناء مصر فقط بل لأبناء الدول الاسلامية المجاورة ، وبذلك كان تمهيداً قوياً للنهضة الثقافية والعلمية التي شهدها القرن التاسع عشر فيما بعد ، فكان الناس على استعداد للعلوم والمعرفة على الرغم من الصعوبات التي كانت تواجههم في سبيل تحقيق الحركة الفكرية ، وتمثلت تلك الصعوبات باضطراب الحالة السياسية والاقتصادية في البلاد([[16]](#endnote-16)).

 **ثانياً : أبرز المفكرين الذين ظهروا خلال ذلك العصر** :-

1. **مرتضى الزبيدي :** ولد في مدينة القاهرة عام 1732 ، إذ تذكر المصادر التاريخية ان اصله يعود الى اليمن ، وهو عالم لغوي ومحدث ، برز في النصف الثاني من القرن الثامن عشر ، كتب العديد من الكتب والمؤلفات أهمها : **" شرحة المطول لأحياء علوم الدين للغزالي "** ، وقد شاع استعمال هذا المؤلف في كل من الهند والسودان ، وكتاب **" تاج العروس"** ، الذي شرح فيه القاموس المحيط للفيروز ابادي ، وقد توفي عام 1790 ودفن في القاهرة ([[17]](#endnote-17)).
2. **حسن الجبرتي :** هو حسن بن برهان الدين الجبرتي ، كان فقيهاً عالماً باللغة ، وهو من مفكري القرن الثامن عشر ، وتصدى للإمامة والافتاء وهو في الرابعة والثلاثين من عمره ، عمل على جمع الكتب المتخصصة في العلوم العقلية كالطب والفلك والكيمياء وتمكن في علوم الهندسة والميكانيك وغيرها من العلوم، توفي عام 1774 ، من ابناءه المؤرخ الكبير عبد الرحمن الجبرتي([[18]](#endnote-18)).
3. **عبد الرحمن الجبرتي :** هو عبد الرحمن بن نور الدين حسن بن برهان الدين الجبرتي ، ولد في حي الصنادقية من احياء القاهرة ، عام 1745 ، لاب بين مزاولة التجارة والعلم ، درسه الشيخ احمد بن عبد المنعم الدمنهوري وهو من كبار فقهاء الازهر الشريف ، حيث كان ضليعاً بفقه المذاهب الاربعة ، ودرس علمي الحساب والجبر ، فضلاً عن قراءة القران الكريم على يد الشيخ محمد بن موسى الجنابي المعروف بــ ( الشافعي)([[19]](#endnote-19))، ابتعد عن الناس وترك الكتابة على اثر مقتل ولده خليل واعتكف في البيت حبيساً بين احزانه على ولده والامه من السلطة القهرية ، حتى فقد بصره جراء الاسى ، وتداعت صحته تداعياً كبيراً ، فوفاهُ الاجل اواخر العام 1825، له العديد من المؤلفات منها **" عجائب الآثار في التراجم والاخبار "** و **" مظهر التقديس بذهاب دولة الفرنسيس"**([[20]](#endnote-20)).
4. **عبد الله ابراهيم الشرقاوي :** عالم دين مصري وشيخ ازهري ، ولد بقرية الطويلة الشرقية عام 1737 ، التحق بالأزهر ودرس برواق الجبرتي والمدرسة الطبرسية ، وخلف استاذه الشيخ محمود الكردي في الطريقة الخلوتية ، واختير شيخاً للأزهر عام 1794 وظل شيخاً في الازهر لمدة عشرين عاماً ، له العديد من المؤلفات اهمها : **" تاريخ ملوك مصر حتى خروج الفرنسين من مصر"** ، ومؤلف آخر بعنوان **" حاشية على التحرير "** ، وقد توفي في عام1812 ([[21]](#endnote-21)).
5. **الشيخ احمد الدمنهوري :** هو احمد بن عبد المنعم بن صيام الملقب بــــ ( الدمنهوري) ، ولد عام 1689 في مدينة دمنهور ، وهو من علماء الدين والطب ، ومن مشايخ الازهر، كانت له حصيلة علمية ، واصبح من خلال ذلك مجازاً من علماء المذاهب الاربعة حتى لقب على اثرها بلقب لمذهبي ، وتولى مشيخة الازهر عام 1768 ، كونه احد مشايخها خلفاً للشيخ عبد الرؤوف محمد السجيني ، له العديد من المؤلفات منها : **" اللطائف النورية في المنح الدمنهورية "** ، الذي رصد فيه قائمة بأعماله وسيرة ذاتيه لصاحبه ،وكتاب **" نهاية التعريف بأقسام الحديث الضعيف"** ، و **" حيلة اللب المصون بشرح الجوهر المكنون "** وهذا الكتاب مختص بالبلاغة ، و كتاب **" الدرة اليتيمة في الصنعة الكريمة"** ، وقد توفي في عام 1778 ([[22]](#endnote-22)).

 **ثالثاً : الحركة الانفصالية لعلي بك الكبير في مصر خلال القرن الثامن عشر وإثرها على النشاط الاقتصادي :-**

كانت السياسة العليا للدولة العثمانية قائمة على اساس التغيير المستمر للولاة ، لاسيما في مصر؛ ذلك لخشية الباب العالي من ان يقوم الوالي بالانفصال عن الدولة العثمانية ، إذ كلما بقيه الوالي مدة اكثر في الحكم استفرد به ، مستغلاً الوالي في مصر بعد ولايته عن مركز الحكومة اسطنبول ، وميول اهالي مصر وتأييدهم له مما يعزز مكانته وقوته ، لذا جعل الباب العالي الوالي من حيث المبدأ خاضعاً للتجديد السنوي ، مما ادى بالتالي الى ضعف قوة الوالي ، وعدم قدرته في ادارة شؤون البلاد ، لهذا استغل المماليك في مصر هذا الوضع واخذوا يتدخلون في شؤون البلاد حتى انتقلت السلطة الفعلية اليهم([[23]](#endnote-23)).

 وكانت حركة علي بك الكبير ( 1767- 1773) ، من ابرز الحركات الانفصالية التي ظهرت في مصر ، وهي حركة فردية حدثت ضد حكم الإمبراطورية العثمانية ، فعندما قضت الاخيرة على المماليك في مصر لم يقوا عليهم نهائياً من قبل الحكام الجدد ، فأصبحت السلطة الفعلية بيد البكوات المماليك والتي طغت سطوتهم على سلطة الوالي العثماني([[24]](#endnote-24)).

 بدأ علي بك فكرته الاستقلالية بإجراءات عدة منها : انه امتنع عن دفع الجزية لحكومة الباب العالي ، وامر بذكر اسمه في المساجد وخطب صلاة الجمعة ، والدعاء له ، ولقبوه بسلطان البرين وخاقان البحرين ، وعندما استتب له الامر بذل كل جهوده وتحرك للاستيلاء على الحجاز وازاحت شريف مكة لغرض السيطرة على طريق الحج وتحسين وضعه الاقتصادي والتجاري ، وزادت مطالعه نحو بلاد الشام التي كانت تشهد ايضاً حركة استقلالية بقيادة ظاهر العمر ، فتحالف معه ليحقق اماله ، لكن الاجراءات والاساليب التي اتخذتها الدولة العثمانية افشلت ذلك التحالف([[25]](#endnote-25)).

 وعلى الرغم من ان حركة علي بك سياسية بطابعها العام ، لكنها قد عكست طابعاً فكرياً في تغيير واقع الحال في مصر وبالأخص من الجانب الفكري الاقتصادي ، إذ احيا ذلك الجانب الفكري لغرض تطوير مصر وابداء الصفة الشرعية لفكرته الاستقلالية والتي جاءت من عدة اعمال قام بها([[26]](#endnote-26)).

 كان من ابرز تلك الاعمال التي قام بها علي بك الكبير لدعم حركته الانفصالية : هو سك العملة الجديدة بمصر ، واستمر سك العملة في دار ضرب النقود في القلعة اثناء السيطرة العثمانية ، وكانت العملة تسك من الذهب او الفضة او النحاس ، ومن سبائك غير خالصة ، وعند اعتلاء علي بك الحكم قام بضرب النقود باسمه ابتداءً من عام 1769 فسك قرش من الفضة يحمل اسمه الى جانب اسم السلطان الحاكم مصطفى الثالث ، ودونّ عليه تاريخ استقلال مصر عن الدولة العثمانية ، واراد علي بك من ذلك ان يزيد من قيمة العملة في الخارج ، لاسيما وان القيمة الاسمية لها في البندقية ودوقات المجر وهولندا قيمة ازيد بخمس بارات عن قيمتها الحقيقة ، ومن اجل اعادة الثقة لهذه العملة فأنه اعاد سك معظم القطع النحاسية (الجديد ومضاعفاته) ، والقطع الفضية ( البارة ومضاعفاتها) ، وذكر عليها العام الذي ضربت فيه وعلى جميع قطع الفئات المختلفة ، فالعام يختلف من فئة الى اخرى ، فمثلاً على قطع العشرينية (20 باره) نقش عليها عام 1768 اي العام التي اصبح فيها قائممقام ،اما العملة الذهبية التي اصدرها عام 1771 نقش عليها اسم السلطان والوجه الاخر نقش عليها اسمه ، وذكر الجبرتي ان النقود التي ضربها علي بك كانت قروش مفرد وقطع صغار تعرف بــ ( عشرة انصاف وخمسة انصاف ونصف قرش) ، وكان اكثرها نحاساً وعليها علامة علي بك ، لهذا فأن التحول الذي احدثه علي بك في سك العمل يعد نقله في ادارة حكمهِ لمصر([[27]](#endnote-27)).

 وكان غرضه من سك العملة هو حصوله على الارباح الناتجة من سكها لاسيما وان صهر العملة الاجنبية واعادة سبكها يعطي ربحاً صافيا ً فضلاً عن ضمان عيارها ، اما الغرض الابرز من سك العملة هو وضع نقش جديد يدل على معنى انفراده بالسلطة ، لهذا جعل دار ضرب النقود تحت اشرافه حتى يمكنه من سك المبالغ التي يحتاجها ، في حين كان غرضه من ابقاء اسم السلطان الى جانب اسمه في العملة لأنه حريص على عدم اثارة الرأي العام في مصر ضده هذا من جهة ، ومن جهةً اخرى ان الشعب المصري يعد السلطان العثماني بمثابة خليفة للمسلمين([[28]](#endnote-28)).

 **المبحث الثالث**

**الحركة الفكرية المصرية خلال القرن التاسع عشر**

**إولاً : تطور الحياة الفكرية في مصر خلال عهد محمد علي باشا.**

 لقد نبهت الحملة الفرنسية التي قادها نابليون بونابرت على مصر والشام عام 1798، الى الاخطار التي تحدق ببلادهم ، واحدثت يقظة سياسية وفكرية في تلك الدولتين ؛ ذلك بما جاءت به الحملة من افكار الثورة الفرنسية ، وحقوق الانسان ، وما اتاحته من صله بين الشرق والغرب([[29]](#endnote-29))، الامر الذي ادى الى تسرب كثير من النظم والاساليب الاوربية الحديثة الى البلاد العربية لاسيما في بناء المؤسسات العلمية وغيرها([[30]](#endnote-30)).

 وشكلت الحملة صدمة قوية للمجتمع المصري الذي كان يعيش حياة سبات وسكونية مطلقة على مدى عصور الحكم المملوكي ولاسيما خلال العهد العثماني الطويل ، فكانت الحملة بمثابة اليقظة والانتباه ، إذ إقدم نابليون بونابرت على إجراء جملة من الاعمال العلمية والخدمية في حملته تلك كان منها : تأسيس مجمع علمي في 22/ اب سنة 1798 ، وكانت له اهدافهِ في تقدم العلوم والمعرفة والدراسة والبحوث الطبيعية والتاريخية الخاصة بمصر، ثم إبداء الاستشارة للحكومة ، وكان من ابرز منجزاتهِ تأليف كتاب مهم جداً عنوانه **" وصف مصر "** بالفرنسية ، فضلاً عن تأسيس مطبعة عربية واخرى فرنسية ، وهما اول مطبعتين اسستا في الوطن العربي ، والاهتمام الكبير بالفنون والروايات التمثيلية من خلال تأسيس المسارح وإقامة دار الاوبرا في قلب القاهرة ([[31]](#endnote-31)).

وعُدّ محمد علي باشا من الحكام الذين آمنوا بفكرة التحديث الشرقي، ومارس عملياتها الاولى في مصر بجدً ونشاط ، وقد حملت سياستهُ طابعاً تقدمياً واضحاً ، على الرغم مما أوقعهُ على كاهل شعبه من الضرائب والاعمال ، واستطاع ان يُغير الانماط الانتاجية القديمة قليلاً ، لكي يُزحزح المجتمع المصري من أطرهِ ومرجعياتهِ المنتمية للعصور الوسطى ، ويخلصه من البنية المملوكية ومخلفاتها العتيقة ، وخاصةً في المدن المصرية المكتظة بالسكان ، كما انه استطاع ايضاً ان يغرز الدولة بالتنمية الاقتصادية ، والدفاعات العسكرية البرية والبحرية ، وصنع جهازاً وظيفياً فعالاً في الداخل ، ومارافق ذلك من اصلاحات جديدة ([[32]](#endnote-32)).

 لقد قضى محمد علي باشا على رواسب التفكير القديم عند المثقفين والدارسين الذين اكتسبوا وعياً جديداً ،ونجح في بناء مؤسسات تربوية وتعليمية علمانية مستبدلاً بالأساليب القديمة مناهج حديثة، متخذاً من فرنسا مثالاً للرقي والازدهار والتطلع والحيوية ([[33]](#endnote-33)).

 ويأتي ادخال التعليم الحديث في مقدمة تلك الاعمال التي هيأت سبيل التجديد الفكري ، واذا كان بناء الجيش يمثل محمور حركة الاصلاح الذي قام به محمد علي فأن ذلك تطلب تنظيم الادارة والاقتصاد مما تطلب وجود خبرات وكفاءات لا يستطيع ان يوفرها التعليم التقليدي، وهكذا نشأ التعليم الحديث في مصر ([[34]](#endnote-34)) .

 ولما كان محمد علي حريصاً على توفير الكوادر اللازمة للإدارة والانتاج، ولدور السلطة الجديد في مجال الخدمات وان تكون تلك الكوادر من ابناء البلاد ، فقط ارتبط التوسع في التعليم بحاجات الحكومة الى الافراد للخدمة في مصالحها ، كما تم ايفاد البعثات الطلابية الى اوربا ، لدراسة العلوم الحديثة كالطب والهندسة والادارة والقانون ، وكانت اول بعثة علمية ارسلها في عام 1809 ، ثم في عام 1813 الى ايطاليا، وارسل في عام 1826 بعثة كبيرة الى فرنسا ومنهم رافع الطهطاوي ، وافتتحت في باريس عام 1847 ، المدرسة المصرية للأشراف على طلبة البعثة المتفوقين دراسياً ، واختير الطهطاوي مشرفاً على البعثة، وكان اخر تلك البعثات في العام 1848 الى بريطانيا ، وحذت الدولة العثمانية في هذا الجانب من الاصلاحات التي شهدها النصف الثاني من القرن التاسع عشر حذو محمد علي في تنظيم المدارس الحديثة وايفاد البعثات الى اوربا ([[35]](#endnote-35)).

 ولكن اكبر انجاز تحقق في عهد محمد علي فيما يتصل بالعلم والثقافة ، هي حركة الترجمة الكبيرة للكتب وفي مختلف فروع المعرفة وترجمتها الى اللغة العربية، ويقدر عدد الكتب التي تم طبعها في المطبعة الاميرية ببولاق نحو (2500) كتاب ([[36]](#endnote-36)).

 وكان لهذه الحركة الفكرية الحديثة اهميتها في اطلاع العالم الاسلامي على علوم الغرب وثقافته، فقد أعيدت ترجمة ما نقل الى العربية من امهات الكتب الى اللغتين الفارسية والتركية ، وقد فتحت مصر الباب على مصراعيه امام من اخرجتهم المدارس الحديثة، وغيرهم من القراء للوقوف على الثقافة الغربية ([[37]](#endnote-37)).

 وكانت الصحافة التي قد بدأت في القرن التاسع عشر وكثر عددها في النصف الثاني منه ، عاملاً هاماً لنقل الافكار الوافدة من الغرب ، وتفتيح الاذهان على اشياء جديدة لم تكن مألوفة من قبل كـ ( الدستور) ، وحقوق المواطن تجاه الحكومة ، والاوضاع الاجتماعية وغيرها من القضايا التي خلقت ارضية خصبة لتجديد الفكر، ونافذة أطل منه جيل جديد من الكتاب تأثر بالثقافة الغربية بدرجة او بأخرى([[38]](#endnote-38))، ومن ابرز الصحف التي ظهرت في مصر خلال القرن التاسع عشر وتحديداً في العام 1828 هي الجريدة الرسمية **" الوقائع المصرية "،** التي كانت تطبع في مطبعة بولاق التي اسسها محمد علي باشا([[39]](#endnote-39)).

 اما المدارس والمعاهد المتخصصة فقد تطورت كثيراً ، وكان لها شأن كبير في النهضة الفكرية المصرية ، وقد اشرف على نظارة تلك المدارس والمعاهد والتدريس فيها ، اولئك المصريون الذين رجعوا من اوربا محملين بثقافة حديثة وتخصصات نادرة ، وكان من ابرز تلك المدارس هي مدرسة ( الالسن)، وكانت المناهج الدراسية المتبعة هي مناهج عصرية تتفق وطبيعة الحياة العلمية والفكرية التي كانت اوربا تعيشها ([[40]](#endnote-40)).

 وهكذا حققت مصر تقدماً بالغاً في هذا الشأن ، وسبقت غيرها من الاقاليم والبيئات العربية التي اخذت تتأثر بها شيئاً فشيئاً، لاسيما وان مشروع محمد علي باشا في هذا المجال قد امتدَ الى مختلف الميادين العسكرية والمدنية ، ليكسبها بالمزيد من الكفاءات والتخصصات ، ويتفق اغلب المؤرخين على ان الفضل في ذلك كله يعود الى محمد علي باشا ، الذي يعد اول حاكم شرقي يُفكر في ذلك وينفذهُ بجدية وفعالية ونشاط ، وعلى مستوى رصين وباللغة العربية التي لم يكن يجديها ،ولكنهُ عزّز آدابها وعلومها من خلال مشرعهِ الثقافي والتعريبي الكبير([[41]](#endnote-41)).

**ثانياً : التقليد والتجديد الفكري عند رفاعة رافع الطهطاوي.**

 ولد رفاعة الطهطاوي عام 1801 بمدينة طهطا بصعيد مصر ، لعائلة بارزة من علماء الازهر تنتسب الى الدوحة النبوية الشريفة ، أعدته للدراسة في الازهر الذي التحق به عام 1817 ، إذ تتلمذّ على يد الشيخ حسن العطار (1766-1835) ، احد كبار علماء الازهر وشيخه في عهد محمد علي باشا، وأتم دراسته في الازهر عام 1822 ، وتولى التدريس به مدة عامين، ثم الحقه أستاذه بوظيفة امام احدى فرق الجيش المصري الحديث، وزكاهُ عند محمد علي عندما كان يبحث عن امام يصحب البعثة التعليمية الاولى الموفدة الى فرنسا ، ويفتي لطلابها فيما يعين لهم من امور تتصل بالدين خلال حياتهم في مجتمع غريب عليهم([[42]](#endnote-42)).

 ولما كان الطهطاوي من بين أوائل العرب الذين زاروا أوربا في القرن التاسع عشر، واول من نشر كتاباً عن تلك البلاد الغربية، فقد وقع على عاتقهِ تقديم صورة المجتمع الاوربي لقراء عربية ، وقد نجح في تلك المهمة، وقدم لقرائهِ برشاقة وحرص جوهر الحضارة الغربية([[43]](#endnote-43)).

 وفي كتاب **" تلخيص الابريز"** قدم الطهطاوي لقرائهِ العناصر الجديدة للمجتمع الاوربي مثل : وضع النساء ودورهن في المجتمع ، والطبقات الاجتماعية المختلفة ، والاحوال الدينية ، والعادات والتقاليد السائدة في المجتمع الفرنسي الحديث ، واهتم بإبراز ما للتقدم العلمي من أثر كبير في النهضة الحضارية الغربية، وعبرّ عن حاجة البلاد الاسلامية الى التزود بالعلم حتى ترتقي الى مدراج التقدم الحضاري([[44]](#endnote-44)) .

وفي عام 1835 اصبح الطهطاوي ناظراً (مديراً) لمدرسة الترجمة ( مدرسة الألسن) ، التي انشأت حديثاً أستجابةً لإقتراح تقدم به الطهطاوي نفسه الى محمد علي باشا ، وتطورت الدراسة على مدى ست سنوات ، واتسع مجال الدراسة فيها ليشمل الادب والقانون الفرنسي ، والشريعة الاسلامية ، والفلسفة ، واللغات الاوربية، وفي عام 1841 انشأ قلم الترجمة ملحقاً بالمدرسة واستمر الطهطاوي مديراً لها ، ولعب دوراً هاماً في تنظيم مشروع الترجمة ، والى جانب عمله بالمدرسة وقلم الترجمة ، فقد اسندت اليه مهمة التفتيش على المدارس المصرية الاخرى ، وكان عضواً فاعلاً في اللجان الخاصة بالتعليم والامتحانات ، وعمل الطهطاوي أيضاً محرراً لجريدة **"الوقائع المصرية "** في العام 1842 ، والتي كانت تصدرها الحكومة باللغتين العربية والتركية ، وقد لعب الطهطاوي دوراً هاماً في تحويلها من مجرد نشرة رسمية تنقل اوامر الحكومة الى الناس ، الى صحيفة اسبوعية متعددة الاهتمامات تحاكي الصحف الاوربية ، فقد كان له الفضل في ابتكار ادب المقالة العربية في تلك المجالات ، والكتابة بإسلوب سهل يستطيع ان يفهمه كل من يفهم القراءة([[45]](#endnote-45)).

وقد أصبحت هذه الجريدة فيما بعد محطةٌ للكتاب المصريين والسياسيين ، ونُشرت لهم آفاقٍ واسعة من الآداب ولم تقتصر على القرارات الحكومية والاوامر فحسب ، بل ظهر جيلٌ من الشباب المصريين المتسلحين بالفكر الحر واللغات الاجنبية ، فكانت علامة بارزة في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، ومن هؤلاء محمد رشيد حنا ، ومحمد عبده ، والمنفلوطي ، وقاسم امين ، وسعد زغلول ، ومصطفى كامل ، وغيرهم من الذين اسهموا في رفد الثقافة العربية الاسلامية ، ووضعوا مصر على خُطى النهضة العربية الحديثة وريادتها ، والتي تعززت في العقود التالية لتشكل نسيجاً فكرياً متميزاً لمصر في الوطن العربي والعالم الاسلامي([[46]](#endnote-46)).

لقد كانت اعمال الطهطاوي تلبى رغبة الحاكم في النهوض بالبلاد عن طريق التزود بمعرفة الغرب ، واسباب القوة والمنعة عنده، وتعتمد على الظروف السياسية التي تمرُ بها الدولة ، ومن ثم كان تحجيم قدرات محمد علي العسكرية وانحسار دولته داخل حدود مصر دافعاً لتحجيم التعليم لعدم حاجة الدولة الى الكوادر اللازمة للخدمة العسكرية والمدنية ، ولعلّ ذلك يفسر إن خليفتي محمد علي باشا وهم كلاً من : عباس الاول (1848-1854) ، ومحمد سعيد(1854-1863) ، قد اتجها الى تصفية المدارس التي اقامها محمد علي خلال حكمه لمصر ، ومن ضمنها مدرسة الالسن التي اغلقت عام 1861 ([[47]](#endnote-47)).

 وحالف الحظ رفاعة الطهطاوي بعد عامين عندما مات والي مصر محمد سعيد وانتقل الحكم الى اسماعيل باشا (1863-1879) ، الذي كان شديد الحماس للثقافة الفرنسية ، فأعاد افتتاح مدرسة الالسن وقلم الترجمة ، وعين رفاعة مديراً لهما ، فجمع تلامذته حوله واستأنف معهم حركة ترجمة جديدة تواصلت مع تلك التي بدأها في عهد محمد علي باشا ، وفي اطار هذا النشاط ترجمت تشريعات نابليون الى العربية عام (1866)، كما ترجم القانون التجاري الفرنسي عام (1868) ، واستخدم في تلك الترجمة المصطلحات الفقهية المستمدة من الشريعة الاسلامية ، فكان لتلك الترجمات القانونية اثرها على الفقه القانوني العربي الحديث الذي استوحى صياغاته من تلك الترجمة الرائدة التي وضعها الطهطاوي وتلاميذه ([[48]](#endnote-48)).

وفي عام 1870 اسندت اليه مهمة تحري مجلة **" روضة المدارس"** التي اصدرها ديوان المدارس ، وظل رئيساً لتحريرها حتى وفاته ، وقد استخدم مقالاته الافتتاحية اداة لنشر افكاره عن الحضارة ، ونقده لبعض العادات والتقاليد السائدة ، وفي نفس تلك السنة صدر له عمل هام هو **" منهاج الألباب المصرية في مباهج الآداب العصرية "**، الذي اعده ليكون كتاباً يقرأ في المدارس ،ولكنه كان فتحاً جديداً في الفكر العربي الحديث ، فقد حددَ من خلاله معالم الطريق الذي يرشحه لمصر لتسلكه في نهضتها الفكرية ، وبين كيفية الاستفادة من علوم الغرب وثقافته مع الحفاظ على ما هو ايجابي من الموروث الثقافي العربي الاسلامي ، وصاغ المفاهيم الاساسية للوطن والوطنية ، وفي عام 1872 نشر الطهطاوي كتابه الثاني الهام **" المرشد الآمين للبنات والبنين"**، الذي اودع فيه خلاصة فكره الاجتماعي والثقافي ، وكان أيضاً كتاب قراءة في المدارس([[49]](#endnote-49)).

 وترك فكر رفاعة الطهطاوي تأثيراً كبيراً في الجيل الذي تلقى تعليمه في عصر الخديوي اسماعيل (1863-1879) ، وتفتح وعيه السياسي والثقافي في عهد الاحتلال البريطاني لمصر ، ولعب دوراً هاماً في صياغة المشروع الوطني السياسي – الثقافي في إطار التطورات التي شهدتها مصر والبلاد العربية بعد الحرب العالمية الاولى([[50]](#endnote-50)).

**ثالثاً: محمد عبده ودوره في الحركة الفكرية والوطنية المصرية.**

يعد الشيخ محمد عبده مصلحاً دينياً وفيلسوفاً كبيراً بل رائداً للفكر المصري الحديث([[51]](#endnote-51)) ، إذ حملت إفكاره حساً وطنياً عالياً عن طريق اشتراكه بالحركة الوطنية المصرية التي نتجت عنها ثورة احمد عرابي ، فقد اكد على المبادئ الوطنية وحب الوطن ومقاومة البريطانيين ، لذلك استطاع ان يؤثر في قطاع واسع من المثقفين والكتاب والمفكرين المصريين ، من امثال محمد رشيد رضا ، وان يكون احد دعاة الجامعة الاسلامية ، كما ويعد الشيخ محمد عبدة من ابرز مكري عصره ، وكان تأثيره في الفكر الديني والسياسي واضحاً ، لذاك تكونت لديه فكرة واضحة عن ضورة اصلاح التعليم الديني في الازهر ، من ابرز مؤلفاته الفكرية والادبية والصلاحية : **"رسالة الواردات ، الاسلام والتوحيد ، رسالة التوحيد ، شرح البصائر النصرانة ، الاسلام والنصرانية مع العلم والمدنية"** وغيرها من المؤلفات([[52]](#endnote-52)) .

 كما ويعد الشيخ محمد عبده من أبرز مفكري عصره ، وكان تأثيرهُ في الفكر الديني والسياسي واضحاً ، فهو يرى أن ما أصاب المسلمين من إنحلال وتراجع يعود الى الجمود العلمي في العالم الاسلامي ؛ لأن الاسلام على الدوام يشجع العليم تشجيعاً ايجابياً([[53]](#endnote-53)) .

لقد ادى تفاقم الاوضاع السياسية والاقتصادية في مصر الى اندلاع الثورة العرابية في التاسع من ايلول عام 1881 ،([[54]](#endnote-54)) والتي أثارت قلقاً جدياً لدى الاوساط السياسية الغربية التي لها مصالح في مصر ولاسيما بريطانيا ومصر ، ومما لاشكّ فيه ان التقاء المصالح البريطانية مع مصالح الخديوي توفيق هي التي أنهت الثورة العرابية ، واستسلم على أثرها احمد عرابي ، وعاد الخديوي الى القاهرة تحت حراب البريطانيين في الخامس والعشرين من ايلول عام 1882 ([[55]](#endnote-55)).

 واشترك الشيخ محمد عبده في ثورة احمد عرابي عام 1882 وسجن على اثرها لمدة ثلاثة اشهر ، ونفي بعد ذلك ثلاث سنوات خارج مصر ، ثم انتقل الى باريس بناءً على دعوة استاذهِ جمال الدين الافغاني ، واصدر مجلة ( العروة الوثقى) ، ثم عاد الى مصر بعد ست سنوات عام 1888 ، فأنصرف بالدعوة الى التجديد الديني واصلاح المؤسسات والاوقاف والمحاكم الشرعية ، ولما توفي الخديوي توفيق عام 1892 وخلفه الخديوي عباس حلمي الثاني ، عُين محمد عبده في مجلس ادارة الجامع الازهر ، ثم تولى منصب الافتاء عام 1899 ، واختير عضواً في مجلس شورى القوانين ومجلس الاوقاف والجمعية الخيرية الاسلامية([[56]](#endnote-56)) ، وبالرغم من تقلده عدة مناصب الا انه لم يغير من موقفه اتجاه الاحتلال البريطاني بل واصل معارضته كونه الطريق الوحيد للتخلص منه([[57]](#endnote-57)) .

 تركت بصمات الشيخ محمد عبده الفكرية والسياسية على الحركة الوطنية ، فقد اكد على وجوب حب الوطن إّ قال " ان المصري يجب ان يحب وطنه وامته" ، ثم دعا الى نبذَ التعصب العنصري ، واكد على غرس الروح الوطنية والارتباط بالوطن ، وان الاستقلال السياسي هو بمثابة تحصيل حاصل للتربية الوطنية ، إذ ان مفهومه للوطنية اعتمدت على منظور الشرعية الدستورية ، التي تعطي الاولوية للحرية الداخلية كمقدمة ضرورية للتحرر الخارجي ، كما رأى ان السياسة التي ينبغي على بريطانيا اتباعها في مصر هي سحب قواتها العسكرية ، وان تتفق مع السلطان العثماني على اقامة حكم جديد في مصر .

عبرّ محمد عبده عن موقفه المعارض للاحتلال البريطاني إذ قال **" ان العمل لاخراج البريطانيين من مصر عمل كبير جداَ ، وللوصول الى تلك الغاية ينبغي السير في الجهاد على منهاج الحكمة والدأب على العمل الطويل لعدة قرون"** ([[58]](#endnote-58))، وبذلك فأن مواقفه كانت واضحة وصريحة من الاحتلال البريطاني .

ومن الجدير بالذكر الى ان الشيخ محمد عبدة قد وجهت اليه انتقادات كثيرة منها : صداقته لممثلي الاحتلال البريطاني (كرومر وبلنت )، ثم الفتاوي التي اصدرها منذ تسلمه منصب مفتي الديار المصرية ، كـــ ( الفتوى حول ربح صندوق التوفير ، والتأمين على الحياة )، وكذلك فتاوي في مسائل اجتماعية اعتمد في تفسريها على العلوم الطبيعية الحديثة، فأحدث ذلك تناقضاَ بين منهج المسلمين والحياة العصرية([[59]](#endnote-59)).

فسرت هذه الشبهات حسب وجهة نظر اصحابها، وهي ان ثقافة محمد عبده الفكرية هي ثقافة مركبو\ة من عنصرين اساسيين مختلفين في المنهج والاهداف ، الاول : اسلامي تقليدي محافظ، وقد ثارّ عليه فيما بعد، والثاني : عقلاني غربي استمدهُ من ثقافة العصر من خلال اتصاله المباشر بالمفكرين الأوربيين اثناء وجوده في لندن وفي باريس ، ومعظم هولاء كانوا من المتأثرين بفلسفة عصر الانوار ، كذلك بتقربه من ( كرومر وبلنت)، لذلك حاول محمد عبده ان يضع في اطار اسلامي مفاهيم فكرية قد تكون (علمانية) استمدت من الفكر الغربي ، معتبراً اياها انه وليدة تطورات شملت جميع نواحي الحياة في عصره ، والقضية المركزية في تفكريه تتلخص في كيفية خلاص المجتمع المصري وانحطاطه ، مع بقاءه مجتمعاً اسلامياً ، اي ان محمد عبده كان مفكراً اصلاحياً اسلامياً سلفياً توفيقياً في الاخذ من التطور العلمي الحديث ، وسار على هذا التوجه الفكري حتى وفاته عام 1905([[60]](#endnote-60)).

وفي اواخر القران التاسع عشر واوائل القرن العشرين طرأت على المجتمع المصري تغيرات سياسية واجتماعية واقتصادية وثقافية بعيدة المدى ، وعجلت بهدم العديد من المؤسسات الموروثة ، وأعادت صياغة التركيب الطبقي للمجتمع([[61]](#endnote-61)) ، وحدث هذا كلهُ تحت تأثير الاحتلال البريطاني لمصر عام 1882 ([[62]](#endnote-62))، ومافرضهُ من السياسات الاقتصادية والاجتماعية وثقافية التي آلت الى تنمية مشوهة موجهة الى الخارج وتابعة له ، وقد انحصر الوضع الطبقي في المجتمع المصري بين ما يملكون وما لا يملكون من جانب وتوافد الجليات الاجنبية من جانب آخر ، ألا ان لفئة المثقفين دورٌ كبيراً في تلك الاحداث ، فقد كانت النخبة المثقفة المصرية أمتداداً تأريخياً ووطنياً عكستهُ ظروف نشأت مصر الحديثة([[63]](#endnote-63))، وأصبح المثقفين الركيزة الاساسية التي قام عليها المجتمع المدني في مصر ، ركيزةٌ فكرية وسياسية واجتماعية([[64]](#endnote-64))، وادى المثقفون من الطبقة الوسطى من الطلبة وأرباب المهن الحرة ، دوراً مهماً في الحركة الوطنية عن طريق الاضرابات وتأليف الجمعيات السرية ، وقد انتهى الامر بالطبقة المثقفة المصرية ان أصبحت تُشكل العمود الفقري في الحركة الوطنية([[65]](#endnote-65)).

**الاستنتاجات:**

بعد هذا البحث العلمي في دراسة الحياة الفكرية في مصر تم التوصل الى جملة من الإستنتاجات هي :

1. اتسمت الحياة الفكرية المصرية خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر بالركود ، وقد غلبت على التفكير الجماعي المصري وعلى النزوع النفسي أشكال الشعوذة والسحر والخرافة التي لبست لباساً دينياً ، وسيطرت على شؤون الحياة الاجتماعية متخذةً لها صورة لسلطة قهرية أبطالها من المشعوذين الذين أدعوا العلوم.
2. لقد شهدت مصر خلال القرن الثامن عشر تنامي و بروز الحركة الفكرية بشكل واضح وكبير ، إّذ ظهر فيها الكثير من المفكرين والعماء والمثقفين وبعض الرعايا الرسمية للعلم والعلماء ، والاهتمام بخزائن الكتب في المساجد والاوقاف .
3. كان والي مصر محمد علي باشا قد وضع أساس النهضة العربية الحديثة فيها ، إذ إن تأسيس المدارس الحديثة وأرسال البعثات العلمية الى خارج مصر هما " ركنا الاصلاح في ولاية مصر الجديدة".
4. ادى ذلك التوسع في تأسيس المدارس الحديثة ، ومدارس الارساليات التبشيرية الى انتشار التعليم وظهور فئة من المثقفين في المجتمع المصري.
5. لقد كان رفاعة الطهطاوي رائد التجديد في الفكر العربي المصري في القرن التاسع عشر ، بما قدمه من أفكار جدية التمس لها إصولاً في الثقافة الاسلامية ، متخذاً من الفكر الغربي فروعاً وأغصاناً ، وكان له بادرة القول بتطوير المجتمع العربي – الاسلامي على اسسا تحقق تقدمه على طريق الحضارة بأسلوب إنتقائي يركز على الجوانب المادية وما ارتبط بها من مجالات معرفية ، ويتعامل بحذر مع النظريات والافكار.
6. يعد الشيخ محمد عبدة احد زعماء الحركة الفكرية في مصر في القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين ، واحد تلامذة السيد جمال الدين الافغاني ، وكان للوضع السياسي والاقتصادي والاجتماعي المتردي ، والتدخل الاجنبي في مصر ونهب خيراتها ، دور هام في بروز الحركة الفكرية وتضامن رجالها مع احمد عربي في ثورته ضد الاحتلال البريطاني ، إذ اسهم الشيخ محمد عبده بنشاط كبير في الحركة الوطنية ، وبقيت النفوس ثائرة ومتأثرة بطروحاته الفكرية تتطلع الى اصلاح نظام الحكم وأقامته على دعائم الحرية والشورى .
7. شملت النهضة العربية الحديثة مختلف جواب الحياة العربية السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية ، ولما كانت لكل حركة فكرية تضمن لنفسها واقعاً تعمل من خلاله ، فقد اثمرت تلك النهضة الفكرية واخذ صداها يترك آثاره على مختلف الاوضاع التي يشهدها المجتمع في مصر.

**قائمة الهوامش واالمصادر :**

1. ( ) جاسم محمد حسن العدول ، الدولة العثمانية ابان حكم السلطان سليم الاول (1512-1520) اطروحة دكتوراه غير منشورة ، كلية التربية ، جامعة الموصل ، 2004. [↑](#endnote-ref-1)
2. ( )عيسى الحسن ، الدولة العثمانية ( عوامل البناء واسباب الانهيار ) عمان ، 2009 ، ص 119. [↑](#endnote-ref-2)
3. ( ) رءوف عباس حامد ، تطور الفكر العربي الحديث ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، 2007 ، ص 5. [↑](#endnote-ref-3)
4. ( )المصدر نفسه [↑](#endnote-ref-4)
5. ( ) سيار كوكب علي الجميل ، تكوين العرب الحديث 1516-1916،الموصل ، 1991، ص 171. [↑](#endnote-ref-5)
6. ( ) سيارة كوكب علي الجميل ، المصدر السابق ، ص ص 176-177. [↑](#endnote-ref-6)
7. ( ) جرجي زيدان ، مصر العثمانية ، تحقيق محمد حرب ، مصر ، 2003 ، ص 303. [↑](#endnote-ref-7)
8. ( ) وائل ابراهيم الدسوقي ، التاريخ الثقافي لمصر الحديثة ، القاهرة ، 2012 ، ص ص 22-23. [↑](#endnote-ref-8)
9. ( ) المصدر نفسه، ص 23. [↑](#endnote-ref-9)
10. ( ) وائل ابراهيم الدسوقي ، المصدر السابق ، ص 24. [↑](#endnote-ref-10)
11. ( ) عبد الله العزباوي ، الفكر المصري في القرن الثامن عشر بين الجمود والتجديد ، القاهرة ، 2006،ص15. [↑](#endnote-ref-11)
12. ( ) وائل ابراهيم الدسوقي ، المصدر السابق ، ص 25. [↑](#endnote-ref-12)
13. ( )وائل ابراهيم الدسوقي ، المصدر السابق ، ص 25. [↑](#endnote-ref-13)
14. ( ) المصدر نفسه ، ص 26. [↑](#endnote-ref-14)
15. ( ) وائل ابراهيم الدسوقي ، المصدر السابق ، ص 27. [↑](#endnote-ref-15)
16. ( ) المصدر نفسه . [↑](#endnote-ref-16)
17. ( ) المصدر نفسه. [↑](#endnote-ref-17)
18. ( ) عبد الله العزباوي ، المصدر السابق ، ص 22. [↑](#endnote-ref-18)
19. ( ) علاوي عباس عبد ، عبد الرحمن الجبرتي ومنهجه في كتابة التاريخ ، اطروحة دكتوراه غير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة الكوفة ، 2007 ، ص69. [↑](#endnote-ref-19)
20. ( ) رحاب عكاوي ، عبد الرحمن الجبرتي ، القاهرة ، 2003. [↑](#endnote-ref-20)
21. ( ) عبد الوهاب الكيالي ، موسوعة السياسية ، ج3، الموسوعة العربية ، بيروت ، (د.ت) ، ص 844. [↑](#endnote-ref-21)
22. ( ) وائل ابراهيم الدسوقي ، المصدر السابق ، ص 35. [↑](#endnote-ref-22)
23. ( ) هند فتال ورفيق سكري ، تاريخ المجتمع العربي والمعاصر ، بيروت ، 1988، ص180. [↑](#endnote-ref-23)
24. ( ) حمزة صباح كاظم الحمداني ، مصر في عهد علي بك الكبير (1760-1773) ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة ذي قار ، 2015، ص ص 6-7 [↑](#endnote-ref-24)
25. ( ) هند فتال ورفيق سكري ، المصدر السابق ، ص 182. [↑](#endnote-ref-25)
26. ( ) حمزة صباح كاظم الحمداني ، المصدر السابق ، ص ص 56-57 . [↑](#endnote-ref-26)
27. ( )المصدر نفسه. [↑](#endnote-ref-27)
28. ( ) حمزة صباح كاظم الحمداني ، المصدر السابق ، ص ص 58 . [↑](#endnote-ref-28)
29. ( ) احمد حافظ عوض ، نابليون بونابارت في مصر ، القاهرة، (د.ت) ، ص 70. [↑](#endnote-ref-29)
30. ( ) عمر عبد العزيز عمر ، محاضرات في تاريخ الشعوب الاسلامية في العصر الحديث ، الاسكندرية ، 1999، ص 51. [↑](#endnote-ref-30)
31. ( ) محمد عبد الله عودة وابراهيم ياسين الخطيب ،تاريخ العرب الحديث ، عمان ، 1989، ص ص 71 – 73. [↑](#endnote-ref-31)
32. ( ) سيار كوكب علي الجميل ، المصدر السابق ، ص 302

 [↑](#endnote-ref-32)
33. ( ) المصدر نفسه ، ص 302. [↑](#endnote-ref-33)
34. ( ) رءوف عباس حامد ، المصدر السابق ، ص 6. [↑](#endnote-ref-34)
35. ( ) هيثم محيي طالب الجبوري وزينب حسن عبد الجبوري ، أثر حركة الاصلاح العثماني في تطور الحركة الفكرية في الوطن العربي في العهد العثماني المتأخر ، مجلة كلية العلوم الانسانية ، جامعة بابل ، المجلد (23) ، العدد (3) ، 2015 ، ص 1454 . [↑](#endnote-ref-35)
36. ( ) سيار كوكب علي الجميل ، المصدر السابق ، ص 302 [↑](#endnote-ref-36)
37. ( ) هيثم محيي طالب الجبوري وزينب حسن عبد الجبوري، المصدر السابق ، ص 1454. [↑](#endnote-ref-37)
38. ( ) رءوف عباس حامد ، المصدر السابق ، ص 6. [↑](#endnote-ref-38)
39. ( ) سيار كوكب علي الجميل ، المصدر السابق ، ص 302 . [↑](#endnote-ref-39)
40. ( ) المصدر نفسه. [↑](#endnote-ref-40)
41. ( ) سيار كوكب علي الجميل ، المصدر السابق ، ص 302 [↑](#endnote-ref-41)
42. ( ) رءوف عباس حامد ، المصدر السابق ، ص 9. [↑](#endnote-ref-42)
43. ( ) البرت حوراني ، الفكر العربي في عصر النهضة 1798-1939، ترجمة كريم عزقول ، بيروت ، 1989، ص 91. [↑](#endnote-ref-43)
44. ( ) رءوف عباس حامد ، المصدر السابق ، ص 9. [↑](#endnote-ref-44)
45. ( ) المصدر نفسه ، ص ص 10 -11 . [↑](#endnote-ref-45)
46. ( ) مفيد الزيدي ، موسوعة التاريخ الاسلامي - العصر العثماني ، عمان ، 2003 ، ص ص189-190. [↑](#endnote-ref-46)
47. ( ) البرت حوراني ، المصدر السابق ، ص 97. [↑](#endnote-ref-47)
48. ( ) المصدر نفسه ، ص 99. [↑](#endnote-ref-48)
49. ( ) رءوف عباس حامد ، المصدر السابق ، ص ص 12 -13 . [↑](#endnote-ref-49)
50. ( ) المصدر نفسه . [↑](#endnote-ref-50)
51. ( ) أمين عثمان ، محمد عبده ، دار المعارف الاسلامية ، القاهرة ، 1944 ، ص 24. [↑](#endnote-ref-51)
52. ( ) كهلان كاظم حلمي القيسي وفهمي احمد فرحان سعود الجنابي ، الشيخ محمد عبدة دراسة في طروحاته الفكرية 1849 – 1905 ، مجلة جامعة الانبار للعلوم الانسانية ، العدد الاول ، اذار ، 2013 ، ص 37. [↑](#endnote-ref-52)
53. ( ) احمد عبد الرحيم مصطفى ، تطور الفكر السياسي في مصر الحديثة ، معهد البحوث والدراسات العربية ، القاهرة ، 1973 ، ص 35. [↑](#endnote-ref-53)
54. ( ) عبد العزيز رفاعي وحسين عبد الواحد الشاعر ، الوحدة الوطنية في مصر عبر التاريخ ، القاهرة ، 1972 ، ص 70. [↑](#endnote-ref-54)
55. ( ) محمد عبد الرحمن برج ، ساطع الحصري ، الهيئة العامة للتأليف ، القاهرة ، 1969 ، ص64. [↑](#endnote-ref-55)
56. ( ) مجلة الهلال المصرية ، الشيخ محمد عبدة مفتي الديار المصرية ، ج 10 ، السنة الثالثة عشر ، اب 1905 ، ص 114. [↑](#endnote-ref-56)
57. ( ) محمد عمارة ، وطنية الشيخ محمد عبدة ، مجلة الكاتب ( المصرية) ، العدد (15) ، السنة الثالثة عشر ، ايلول 1973 ، ص ص554 – 559. [↑](#endnote-ref-57)
58. ( ) محمد الحسن ، الافكار والمذاهب المعاصرة في التصور الاسلامي ، ط 4 ، دار البشير للثقافة والعلوم ، الدوحة ، 1998 ، ص 184 ؛ محمد عمارة ، المصدر السابق ، ص 119. [↑](#endnote-ref-58)
59. ( ) محمد محمد حسين ، الاسلام والحضارة الغربية ، ط9 ، دار الرسالة ، الرياض ، 1993 ، ص 85 ؛ عبد الجبار الرفاعي ، محمد عبده ومحمد اقبال ، مجلة دراسات الاديان ، العدد(15) ، السنة السادسة ، بغداد ، 2008 . [↑](#endnote-ref-59)
60. ( ) غالي شكري ، النهضة والسقوط في الفكر العربي الحديث ، ط3 ، ج2 ، دار الهلال ، القاهرة ، 1969 ، ص ص 181 -182. [↑](#endnote-ref-60)
61. ( ) سامي صالح محمد الدوري ودلال عبد الحسن جولان السعداوي ، الاوضاع الاجتماعية في مصر في عهد الخديوي عباس حلمي الثاني 1892-1914 ، مجلة جامعة تكريت للعلوم الانسانية ، كلية التربية ، المجلد (21) ، العدد (1) ، 2014 ، ص 212. [↑](#endnote-ref-61)
62. ( ) في هذه الصدد يجدر ذكرهُ **:** بأن السيادة العثمانية على مصر لم تنته بالاحتلال البريطاني ، بل ظلت مصر تخضع لتلك السيادة نظرياً ، اما عملياً فقد كانت مصر تخضع لقوات الاحتلال البريطاني ، واستمر ذلك حتى انتهزت بريطانيا فرصة قيام الحرب العالمية الاولى فأزالت السيادة العثمانية وأعلنت الحماية البريطانية على مصر في 18 ديسمبر – كانون الاول عام 1914 **. للمزيد من التفاصيل يُنظر** : عبد الوهاب الكيالي ، موسوعة السياسة ، ج6 ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، 1994 ، ص 211. [↑](#endnote-ref-62)
63. ( ) سامي صالح محمد الدوري ودلال عبد الحسن جولان السعداوي ، المصدر السابق ، ص 212. [↑](#endnote-ref-63)
64. ( ) يونان لبيب رزق ، مصر المدنية فصول في النشأة والتطور ، القاهرة ، 1992 ، ص 123. [↑](#endnote-ref-64)
65. ( ) عبد الرحمن الرافعي ، مصطفى كامل باعث الحركة الوطنية – تاريخ مصر القومي من سنة 1892 الى سنة 1908 ، ط5 ،القاهرة ، 1984 ، ص 37. [↑](#endnote-ref-65)